أيديولوجيا العنف عند حنة أرندت

إعداد
هبه السيد درويش.

أ.د صفاء عبدالسلام جعفر
أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة رئيس قسم الفلسفة سابقاً

المستخلص:-
تعتبر مشكلة العنف من المشاكل الهامة التي تناولتها النظريات الاجتماعية والسياسية بالتفسير، وقد اختلفت آراء المفكرين حول العنف.
أما فيما يتعلق بالإجابة عن السؤال الذي طُرح في البحث وهو:-
ما المقصود بالعنف؟ و ما أهم خصائص أيديولوجيا العنف عند أرندت؟ و ما الآثار المترتبة على وجود العنف؟
العنف عند "أرندت" ليس ظاهرة طبيعية ، بل هو من وضع الإنسان. وهو أمر محتم لا مفر منه كما لو كان جزءاً من الأمور الإنسانية اليومية.
كما ترى أن العنف يتعارض جوهرياً مع السياسة بل يقصيها ويغيبها تماماً.
تخلص "أرندت" إلى نتيجة أساسية وهى أن العنف ليس في ماهيته سلطة ، وإنما هو النقيض الجذري للسلطة، ويسمح هذا التمييز الواضح بين العنف والسلطة الذي تؤكده "أرندت" بتعريف السلطة كواقعة إيجابية وخلاقة، أما العنف في نظرها لا يملك أية وظيفة ذات جدوى.
كما تميز "أرندت " بين ثلاث أنماط للعنف : العنف العسكري، القمع الداخلي، والعنف المترتب على التقدم التكنولوجي.
أما عن النتائج المترتبة على وجود العنف في نظر "أرندت؟ فهو خلق جيل سلبي بصورة واضحة فاقد القدرة على الإبداع ، بحيث تصبح الغاية القصوى لديهم أن يظلوا على قيد الحياة.
ترى الباحثة أن "أرندت" – وإن كانت من أهم الفلاسفة الذين تناولوا مفهوم العنف – إلا أنني لا أجد لها أي رأي تجاه العنف الموجه للفلسطنيين من قبل الإسرائليين؛ بل نجدها تقول في حوار صحفي لها : "إن إنجازات اليهود في فلسطين هى مصدر الشرعية ونقطة التقاء محتمل مع العرب". بل وتذهب إلى أكثر من ذلك حيث تقول: "إن للشعب اليهودي حق في فلسطين مماثل لحق كل إنسان في حيازة ثمرة عمله سواء أكان يهودياً أو عربياً". إن آراء "أرندت" الفلسفية عن العنف – في رأي – ليست واقعية فمهما بلغت مكانة آرائها عن العنف ، فإنها أيضا لن تمحى حقيقتها كيهودية تسعى للحصول على وطن ، حتى ولو كان على حساب شعب آخر.

الكلمات الإفتتاحية: العنف –أيدلوجيا- أرندت

مقدمة:-

ما من شخص أعمل فكره في الشئون المجتمعية ، وخصوصاً في مجالي التاريخ والسياسة، إلا ونجده قد اكتشف ذلك الدور العظيم الذي يقوم به "العنف" على مختلف أشكاله في شئون الحياة البشرية، فالعنف السياسي من الظواهر العالمية التي عرفتها المجتمعات البشرية في مجموعها، ولكن بدرجات متفاوتة وبأشكال متعددة. على أن وجه الاختلاف بين المجتمعات تكمن فى أسباب العنف ، وإيجاد آليات ومؤسسات فعالة للتعامل مع هذه الظاهرة ، الأمر الذي ينتج عنه تقليل حجم هذه الظاهرة والحد من مخاطرها. مما يمكننا من القول بأن ظاهرة العنف السياسي ليست بذلك سمة ملازمة لمجتمع معين دون سواه[١].

ويعد العنف من المظاهر الأولى للسلوك الإنساني التي عرفتها المجتمعات البشرية ، فبعض أشكاله عرفتها المجتمعات القديمة ، مما دعا البعض إلى القول بأن العنف ليس صانع التاريخ فحسب ، بل التاريخ نفسه ؛ فالتاريخ يستجيب لصوت العنف ، باعتباره الصوت الأقوى والأكثر تأثيرا ودفعاً لحركته.

ولقد ارتفعت معدلات العنف كثيراً خلال العقود الأخيرة ، وظهرت أنواع جديدة من العنف لأول مرة، ولا يكاد مجتمع معاصر يخلو من بعض أشكال العنف [٢].

ويمكن أن نميز بين شكلين من العنف : العنف كأداة والعنف كتعبير . فالمرء يسعى ، باستعماله العنف كأداة ، إلى بلوغ أهداف نوعية بإيقاعه أضراراً أو بأن يكون له دور الردع . أما العنف كتعبير فردي أو جماعي ، فهو غاية في ذاته ، وما يحكم عليه ليس نتائجه النوعية بقدر ما هو الناجمة عنه[٣].

وعلى ذلك فالعنف ظاهرة اجتماعية تتكون من عدد من أفعال مجموعة من الفاعلين تحدث في محيط معين ، وتكون لها درجة من الاستمرارية بحيث تمثل فترة زمنية حقيقية. وهو ظاهرة اجتماعية لأنه أحد المظاهر التي صاحبت الإنسان خلال مختلف حقب وجوده على سطح الأرض. فالعنف من هذه الزاوية قديم قدم المجتمعات الإنسانية. وهو ظاهرة اجتماعية لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات. كما أنه مرتبط بالنظم الإجتماعية. والعنف ظاهرة اجتماعية مركبة لها جوانبها السياسية والاقتصادية والنفسية[٤].

وفي مقدمة الترجمة العربية لكتاب "العنف والمقدس" للفيلسوف الفرنسي الأصل ، الأمريكي الجنسية "رينيه جيرار" "Rene Girard" جاء ما يلي : "إن الإنسان لم يصنع الأسلحة في بداية حياته بقصد الدفاع عن وجوده إلا وهو يرمي للفتك بغيره ، سواء أكان هذا الغير منازعاً له في البقاء أو الولاء ، وتصاحبه نزعة نفسية تتملكه وتتحكم فيه ألا وهي نزعة العنف"[٥].

والعنف كلمة واسعة التداول اليوم، يستخدمه عامة الناس كما يستخدمه المتخصصون فى دراسة السلوك.

---

[١] شعبان الطاهر الأسود : "علم الاجتماع السياسي ، قضايا العنف السياسي والثورة" ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة، ٢٠٠١ ، ص ١١.

[٢] حسين عبد الحميد أحمد رشوان : "العنف والمجتمع ، دراسة في علم اجتماع العنف"، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ص٣.

[٣] مجموعة من المختصين : "قاموس الفكر السياسى"، مادة : العنف، ترجمة أنطون حمصي"، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٤،ص٤٩١.

[٤] حسين عبد الحميد أحمد رشوان : "العنف والمجتمع ، دراسة في علم اجتماع العنف"، ص ١٦.

[٥] رينيه جيرار : "العنف والمقدس" ، ترجمة جها د هواش وعبد الهادي عباس ، دار الاحصاء ، دمشق، ١٩٩٢.

وورد فى قاموس لونجمان Longman أن العنف هو استخدام القوه المادية لإنزال الأذى ، أو إلحاق الضرر بالأشخاص أو الممتلكات أو الحياة الشخصية [٦].

وتتكون لفظة Violence من مقطعين هما:

(**Vi**) وهو مقطع مأخوذ من نفس الجذر المأخوذ منه لفظ vitality ، أى حيوية. هذا بالإضافة إلى أن ثمة علاقة ، فى اللغة اليونانية ، بين Bios أى حياة ، bia أي عنف[٧].

والعنف مضاد للرفق ، ومرادف للشدة والقسوة . والعنيف Violent هو الشخص المتصف بالعنف . فكل فعل شديد يخالف طبيعة الشئ ، ويكون مفروضاً عليه من خارج فهو ، بمعنى ما ، فعل عنيف. والعنيف أيضاً هو القوي الذي تشتد سورته بازدياد الموانع التي تعترض سبيله كالريح العاصفة، والثورة الجارفة ، والعنف من ميول الهوى الشديد الذي تتقهقر أمامه الإرادة ، تزداد سورته حتى تجعله مسيطراً على جميع جوانب النفس ، والعنيف من الرجال هو الذي لا يعامل غيره بالرفق ، ولا تعرف الرحمة سبيلاً إلى قلبه.

وجملة القول إن العنف هو استخدام القوة استخداماً غير مشروع ، أو غير مطابق للقانون[٨].

وبصورة عامة فإن العنف ، الذي ينطوي على ممارسة القوة والضغط والإكراه ضد الآخر سواء كان جسدياً أو نفسياً أو اجتماعياً ، يطال في جميع الأحوال ما هو أساسي في الشخصية الإنسانية ، أي طبيعة الإنسان ككائن اجتماعي عاقل له حقوق وعليه واجبات[٩] .

وجمله القول إن العنف هو "اللجوء إلى القوة من أجل إخضاع أحد من الناس ضد إرادته ، وهو ممارسة القوة ضد القانون أو الحق".

وهو يتخذ أشكالاً متعددة ومتداخلة كالقوة ، والعدوانية ، والسلطة ، والقانون ، كما يطال مجالات متعددة ، اقتصادية وسياسية وثقافية. مما يترتب عليه العديد من الإشكاليات حول منشأه ومظاهره ووسائله ، ومدى ضرورته ومشروعيته من وجهه نظر القانون والأخلاق.

ومن خلال هذا الفصل نحاول الاجابة عن السؤال التالي:-

ما المقصود بالعنف؟ و ما أهم خصائص أيديولوجيا العنف عند أرندت؟ و ما الآثار المترتبة على وجود العنف؟

أولاً أيديولوجيا العنف عند أرندت:-

يمكننا القول بأن التصور القائل بانفصال الجسم عن النفس ، قد دفع "أرندت" إلى رفض النظر في تجربة العنف ، ولاسيما العنف السياسي الذى هو جزء لا يتجزأ من التيارات اليسارية الحديثة[*] . فالرأي الغالب في الفكر السياسي يرون أن أسباب العنف السياسي الحديث إنما هو

---

(6) Longman: "Dictionary of Contemporary English", Art: Violence, Pearson Press, p,1596.

[٧] مراد وهبه : "المعجم الفلسفي"، مادة : العنف ، دار قباءالحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٤٤١.

[٨] جميل صليبا: "المعجم الفلسفي"، الجزء الثاني، مادة : العنف ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ص ١١٢.

[٩] إبراهيم الحيدري : "سوسيولوجيا العنف والإرهاب" ، دار الساقي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٥ ، ص١٨.

(*) اليسار Left :- من التعابير الاصطلاحية التي أصبحت مرتبطة بنظم الحكم وبالمذاهب والأحزاب السياسية المعاصرة ، نشأ اللفظ أصلاً مع قيام الجمعية الوطنية الفرنسية في عام ١٧٨٩. إذ كان الأشراف من أعضائه يجلسون في مكان الشرف إلى يمين رئيس المجلس ، بينما كان يجلس ممثلو الشعب إلى اليسار . ثم توسع استخدام

ينبع من ضعف القوة السياسية ، مما يؤدى إلى إكراه البعض على قبول أفكار من هم أقوى منهم ، وهذا الخضوع يدفع دائماً الأقوى ، إلى خلق أيديولوجيا حديثة تتناسب مع قوته لعل من أبرزها الأسلحة النووية التي تتميز بقدرتها التدميرية من جانب ، وأثرها النفسي في الضعفاء من جانب آخر(١٠).

ومن ثم فالعنف ليس ظاهرة طبيعية ، بل هو من صنع الإنسان ، إذ يقوم على الإكراه والقمع(١١).

ويبدو أن مفهوم العنف أكثر ضراوة عند "أرندت" في القرن العشرين، ومع هذا فهو ليس نتاجاً لهذا القرن ، وإنما نتاج للعنف الإجرامى الذي ورثه هذا الجيل من الأجيال السابقة ، وتقول "أرندت" في هذا : "إن الحماس الواضح لدى اليسار الجديد واندفاعاته ، ترتبط جميعها بالقلق الناتج عن التطور الانتحاري للأسلحة الجديدة ، فالجيل الراهن هو الجيل الأول الذي يترعرع في ظل القنبلة النووية . لقد ورث أبناء هذا الجيل عن جيل الآباء خبرة تغلغل العنف الإجرامي في العمل السياسي ، وتعلموا في مراحل التعليم المختلفة أموراً كثيرة عن معسكرات الإبادة والاعتقال ، وعن المجازر الجماعية وأعمال التعذيب ، وعن المجازر الجماعية للمدنيين خلال الحروب التي من دونها لا يمكن للعمليات العسكرية الحديثة أن تكون ممكنة حتى لو اقتصرت على استخدام الأسلحة التقليدية"(١٢).

إن من أهم النتائج المترتبة على العنف عند "أرندت" خلق جيل سلبي بصورة واضحة ، فاقد القدرة على الإبداع ، بحيث تصبح الغاية القصوى لديهم أن يظلوا على قيد الحياة ، تقول في ذلك : "لئن سألت واحداً من أبناء هذا الجيل سؤالين بسيطين : كيف تريد للعالم أن يكون بعد خمسين سنة ؟ وكيف تريد لحياتك أن تكون بعد خمسة أعوام ؟ سيكون أي جواب يطالعك مسبوقاً بعبارة شرط أن يظل العالم قائماً، وأن أظل أنا على قيد الحياة"(١٣).

إن العنف عند "أرندت" ليس شبيهاً بتلك الأفكار التي أرتأها "ماركس" ، حيث إن الأخير كان مدركاً لدور العنف في التاريخ ، لكنه كان يعتبره دوراً ثانوياً : فليس العنف ما يقود المجتمع القديم إلى الزوال ، بل التناقضات داخل المجتمع . كما أن ظهور المجتمع الجديد بسبقه اندلاع العنف ، دون أن يتسبب به ذلك الاندلاع ، وهو مما يشبهه "ماركس" بالآلام التي تسبق الولادة دون أن تكون الولادة ناتجة عنها(١٤).

أما عند "أرندت" فالعنف صينعة الإنسان، وهو بمثابة فعل ناتج عن يد الإنسان و يستخدمه في تدمير الطبيعة البشرية(١٥).

فحقاً لقد كان الفيلسوف الألماني "فريدريش نيتشه(*)" مصيباً ، حين قال : "إنه لأمر مرعب حقاً أن ينتقم المرء بنفسه لمبدئه الخاص ، فما يحصل الآن من أعمال عنف ليس إلا انتقاماً بكل ما

الأصطلاح بقيام الأحزاب السياسية فأصبح المؤيدون للحكومة القائمة يعرفون باليمين والمعارضون باليسار.
(انظر عبد الوهاب الكيالي:"موسوعة السياسة" ، المجلد السابع ، مادة : يسار ، ص٤١١).

(10)Julia Kristeva: "Hannah Arendt", “Life is a Narrative”, Trans by Frank Collins, University of Toronto Press, London, 2001,P. 66.

(11) Maurizio Passerin D′ Entréves: "The Political Philosophy of Hannah Arendt", Routledge Press, London, 1994, P.78.

(١٢) حنة أرندت: "في العنف"، ص ١٥.

(١٣)المصدر السابق، ص ١٨.

(١٤) المصدر السابق ، ص ١٢.

(15) John Mcgowan: "Hannah Arendt An Introduction", University of Minnesota Press, London, 1998, P.27.

تخفيه كلمة الانتقام من معان ، فالفرد ينتقم من الجماعة ، والجماعة تنتقم من السلطة ، والسلطة تنتقم من الأعداء (المعارضين) ، ولم يعد الالتجاء إلى العنف قادراً على إنهاء العنف نفسه"[١٦].

على أية حال اتفقت "أرندت" مع "نيتشه" على أن العنف أمر محتم لا مفر منه كما لو كان جزءاً من الأمور الإنسانية اليومية ، حيث يمكننا اعتباره مجرد إرث لنا ، أى أن اختيار العنف غير واضح[١٧].

فالأصلح هو الذي يهلك – في رأي "نيتشه" – وغير الملائم هو الذي يبقى ، وما يبقى وينتشر يتوقف بقاؤه وانتشاره على انتصاره في معركة الإرادة ، ولكنه لا يكافح من أجل البقاء ، وإنما من أجل القوة[١٨] .

كما ترى "أرندت" أن العنف يحوي في ذاته عوامل فنائه ، ولا يترك وراءه ذكرى تمكن من الوصول إلى التاريخ ، وما يترتب على العنف من حكم إنما هو حكم استبدادي يحوي هو الآخر بين طياته أسباب فنائه [١٩].

وتستنتج "أرندت" من ذلك أن ما يترتب على العنف ليس حرية سياسية ، وإنما حرية فردية تقوم على القهر، إنها نمط من أنماط العبودية ، وفي ذات اللحظة تكون نتاجاً للفقر الاقتصادي والتقدم التكنولوجي ، وليس نتاجاً لأفكار سياسية[٢٠].

أي أن ما يترتب على العنف هو حرية للفرد تستلزم القضاء على حريات الآخرين.

وهكذا ، فإن العنف وما يترتب عليه من سلبية ونكوص للعالم الخاص بالإنسان الفرد يمثل أحد المعوقات الأساسية التي تقف حجر عثرة في وجه الحرية السياسية عند "أرندت"[٢١].

ذهبت "أرندت" إلى أن: "لا يمكن لأي شخص أعمل فكره في شئون التاريخ والسياسة ، أن يبقى غافلاً عن الدور العظيم الذي يقوم به العنف دائماً في شئون البشر، ومن هنا سيبدو لنا ، للوهلة الأولى ، مفاجئاً ما نلاحظه من أن العنف نادراً ما كان موضع تحليل أو دراسة خاصة"[٢٢].

ولكي تتم معرفة مدى فعالية آلية العنف في إحداث التغيير الجذري الناجح لابد من دراسة خصائص العنف كسلوك كلي لا يتجزأ ، له خاصية شمولية تستشري في جميع أبعاد الكيان الإنساني . فالعنف ليس مجرد أداة منفصلة يمكن أن تُستخدم كتكتيك مؤقت في بعض الأحيان،

(*) **فريدريش فلهلم نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠) Friedrich Wilhelm Nietzche :-** ولد نيتشه في رويكن بمقاطعة زاكسن وهو إبن لأحد القساوسة البروتستانت . كرس أوقات فراغه لدراسة أصول المأساة اليونانية . وعند الإعلان عن الانتصار الألماني ، تطوع في الجيش . وأرسل إلى فرنسا سائقاً لعربة إسعاف ، ثم إلى كارلسروه حيث سقط مريضاً وقد تراءى له يومئذ أن ألمانيا تخلف اليونان : فبسمارك زعيمها ، ومولتكه جنديها ، وفاجنر منشدها ، ونيتشه فيلسوفها . وفي عام ١٨٧١ نشر نتيجة أبحاثه تحت عنوان : ميلاد المأساة من روح الموسيقى. ومن أهم مؤلفاته "هكذا تكلم زرادشت" وهو كتاب كبير تغنى فيه بقيم الحياة على حساب قيم المعرفة . (انظر : جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، مادة: نيتشه ، ص٦٧٧).

[١٦] حسين عبد الحميد أحمد رشوان : "العنف والمجتمع، دراسة في علم اجتماع العنف"، ص ٣.

[17] John Mcgowan: "Hannah Arendt An Introduction", P.52.

[١٨] صفاء عبد السلام جعفر : "محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه" ، دار كلمة للنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، ٢٠١٢، ص١٣٥.

[19] Hannah Arendt: "The Human Condition", The University of Chicago Press،Chicago, 1958. P.22.

[٢٠] حنة أرندت : "في الثورة" ، ترجمة عطا عبد الوهاب، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨، ص ١١٨.

[٢١] شعبان عبدالله محمد: "اليوتوبيا اليهودية ، قراءة في فلسفة حنا ارندت السياسية"، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٣، ص٧٧.

[٢٢] حنة أرندت: "في العنف"، ص ١٠.

بل ينطوى الأمر على أبعاد أخرى مختلفة تظهر بأشكال متنوعة ، أي أن العنف لا يكتفي بأن يبقى أداة مؤقتة تستعمل في ظروف استثنائية خاصة ، بل يتحول إلى نظام ثقافي عام يستحوذ على مكونات البنيان التنظيمي، وبهذا يصبح العنف سلوكاً دائماً يدعمه نظام ثقافي ذاتي ، وتحركه فكرة عقائدية مترسخة في كيانه . وبعبارة موجزة فإن العنف يتغلغل في أعماق النفس البشرية ليبني كيانه الخاص ، ويصبح بمثابة الفكرة التي تحرك الإنسان ، بحيث يتفرع منها سلوكه وثقافته ، وإذا تغلغل العنف واستشرى ، فإنه يفرض خصائصه الذاتية على كيانه الخاص.

هذا وترى "أرندت" : "أن ادوات العنف قد تطورت تقنياً إلى درجة لم يعد من الممكن معها القول بأن ثمة غاية سياسية تتناسب مع قدرتها التدميرية ، أو نبرر استخدامها حالياً في الصراعات المسلحة . ومن هنا نجد أن الحروب – التي كانت منذ غابر الأزمان ، الحكم النهائي والذي لا يرحم ، في الصراعات الدولية – إنما فقدت الكثير من فعاليتها ، كما فقدت مجدها الباهر كله تقريبا"[٢٣].

فعندما يتغلغل العنف في أعماق وشرايين الجماعة ، يسيطر عليها سلوكياً وثقافياً بحيث لا يبقى مجالاً للمنطق والإتزان ، لأن العنف في جوهره وماهيته يعتمد على أسلوب الإكراه والقسر والاستبداد، فالعنف يسير باتجاه كونه حتمياً غير قابل للتغيير، ومقدساً يرفض المناقشة.

ولذلك فإن أيديولوجيا العنف عند "أرندت" تقوم على الحتمية والتقديس المطلقين ، وتنتهي إلى مجموعة من أنماط السلوك والقيم تعبر عن مكنون العنف وتأثيراته العميقة ، ذلك أن الجماعة التي تمارس العنف وتتغمس فيه إلى حد تقديسه لا ترى في نفسها إلا الوجود الأحق والأفضل، إذ لامجال مع سيطرة ثقافة العنف وتحكمها إلى وجود آخر يحمل توجهات أخرى، فمع السيطرة المطلقة لأيديولوجية العنف ، وافتقاد التعداد والتنوع تتوسع دوائر الانعزال والاستبداد والانشقاق والقمع ، والحقيقة التي بينتها التجارب التي مرت بها الحركات ذات الطابع العنيف هو "التجمد والانخراط في منظمات صارمة لا تعرف التنوع في صفوفها ، وهذا البعد عن التسامح واحتمال التنوع والاختلاف في الاجتهاد مما يعد سبباً مزمناً في وقوع الانشقاقات داخل الحركات الثورية"[٢٤].

(١) أنماط العنف:

وتميز "أرندت" بين أنماط ثلاثة للعنف: العنف العسكري ، والقمع الداخلي ، والعنف المترتب على التقدم التكنولوجي . وتذهب إلى أن الأخير أكثرها تهديداً للحرية[*] ، فما يترتب عليه إنما قضاء مبرر على الحرية بصورة عامة ، وحرية الفكر بصورة خاصة ، إذ توجه جل الابحاث

---

[٢٣] المصدر السابق، ص٥.

[٢٤] محمد جواد رضا: "ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة"، مجلة عالم الفكر، العدد٣، (أكتوبر- نوفمبر- ديسمبر) ١٩٧٤، ص ١٥١.

(*) نلاحظ هنا تأثر "أرندت" بأستاذها "هايدجر" من خلال موقفه من التقنية ؛ فالتقنية في رأيه هي الحصيلة المنطقية للميتافيزيقا الكلاسكية التي انشغلت بالموجودات ، وليس بالوجود ذاته . معللاً أننا لو انشغلنا بكل ما يحمل طابعاً تقنياً حديثاً، فإننا نفقد منذ البداية كل أمل في العثور على الطريق إلى ماهية التقنية. فقد أشار هايدجر إلى أن التهديد الذي يواجه الإنسان لا يأتي لأول وهلة من قبل الآلات وأجهزة التقنية ؛ فالخطر الحقيقي يؤثر في الإنسان من حيث ماهيته . ويتضح لنا مما سبق أن "التقنية" تهدد الإنسان بتحويله إلى "حيوان آلي" مما يحتم علينا تأسيس سيطرتنا عليها في إطار نسق أخلاقي ملائم يسمح لنا بالتخلص من هيمنتها على الإنسان . (انظر صفاء عبد السلام : "الأصل في التقنية ، دراسة في الأنطولوجيا المعاصرة"، دار كلمة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٣، ص٤٦-٤٧).

لخدمة ما هو عسكري . وبعبارة أخرى إننا مع العنف الناجم عن التقدم التكنولوجي نصل لنتيجة حتمية مؤادها أن نفكر لخدمة الأغراض العسكرية أو لا نفكر على الإطلاق[٢٥].

(٢) العنف وعلاقته بالسلطة(*):

أكدت "حنة أرندت" خطأ المحاولات الفلسفية السابقة التي تناولت العنف ، حيث إنها ماثلت بينه وبين السلطة ، وهي تميز منذ البداية بين العنف والسلطة، وتبرر الفروق الدقيقة بينهما، وذلك في كتابها (في العنف).

وتتجلى مشكلة العنف في السلطة ، فكل سياسة إنما هي صراع من أجل السلطة ، والعنف هو أقصى درجات السلطة.

وميزت "أرندت" بين السلطة والعنف ، حيث تقول : "إن واحداً من أكثر التمييزات وضوحاً بين السلطة والعنف يكمن في أن السلطة قد ارتكزت على الدوام إلى العدد ، أما العنف فإنه إلى حد ما يكون قادراً على تدبير أمره مستغنياً عن العدد ، لأنه يستند إلى الأدوات (أدوات القمع)"[٢٦].

واستطردت "أرندت" قائلة : "إن الشكل الأكثر تطرفاً للسلطة هو ذاك الذى يُعبر عنه شعار "الجميع ضد الواحد" ، أما الشكل الأكثر تطرفاً للعنف فهو الذي يعبر عنه شعار "الواحد ضد الجميع"، وهذا الأخير لا يكون ممكناً من دون اللجوء إلى أدوات القمع"[٢٧].

ترى الباحثة أن العنف في القرن الحادي والعشرين اختلف في أساليبه عن القرن العشرين ، فلم يعد حاكماً فرداً تحيط به نخبة من المنتفعين ويمارس سلطاته من خلال أدوات القمع . وإنما صارللعنف أدوات أخرى صارت تسهم في تكريس القمع والقهر، مثل : "حيل القانون ، وفساد القضاء ، وأبواق الأعلام المرئي والمكتوب".

وتلاحظ "أرندت" "أنه لم يحدث أبداً أن حكومة وطدت سلطتها على أساس أدوات العنف وحدها، إن وجدت ؛ فحتى الحاكم الشمولي (التوتاليتاري) ، الذي يعتمد على ممارسة التعذيب كوسيلة أساسية للحكم ، يحتاج إلى عناصر مساعدة متمثلة في – البوليس السري وشبكة المخبرين الملحقين به-[٢٨].

كما تؤكد "أرندت": "إن السلطة تكمن حقاً ، في جوهر كل حكومة ، لكن العنف لا يكمن في هذا الجوهر. العنف ، بطبيعته ، أدواتي وهو ككل وسيلة ، يظل على الدوام بحاجة إلى توجيه وتبرير في طريقه إلى الهدف الذي يتبعه . ويحتاج إلى تبرير يأتيه من طرف آخر ، لا يمكنه أبداً أن يكون في جوهر أي شيء"[٢٩].

ويعني ذلك أن "أرندت" ترى أن السلطة لا تحتاج إلى "تبرير Justification" ، انطلاقاً من كونها لا تقبل أي فصل عن وجود الجماعات السياسية نفسها . إن ما تحتاج إليه السلطة إنما هو "المشروعية The Legality" . وتنبثق السلطة في كل مكان يجتمع فيه الناس ويتصرفون بالتناسق فيما بينهم ، لكنها تستنبط مشروعيتها انطلاقاً من اللقاء الأول ، أكثر مما تستنبطها من أي عمل قد يلى ذلك. إن "المشروعية" حين تجابه تحدياً ، تحاول الرجوع إلى الماضي ، أما

---

[٢٥] شعبان عبد الله محمد: "اليوتوبيا اليهودية ، قراءة في فلسفة حنا ارندت"، ص ٧٤.

(*) السلطة Authority :- السلطة في اللغة القدرة والقوة غلى الشيء ، والسلطان الذي يكون للإنسان على غيره ، وجمع السلطة سلطات ، وهي الأجهزة الاجتماعية التي تمارس السلطة كالسلطات السياسية ، والسلطات التربوية ، والسلطات الدينية ، والسلطات القضائية ، وغيرها. انظر : جميل صليبا : " المعجم الفلسفي"، جـ ١ ، مادة : سلطة، ص٦٧٠).

[٢٦] حنة أرندت: "في العنف"، ص ٣٦.

[٢٧] حنة أرندت: "في العنف"، ، ص ٣٧.

[٢٨] المصدر السابق ، ص ٤٤.

[٢٩] المصدر السابق ، ص٤٥.

"التبرير" فإنه يرتبط بغائية تصل مباشرة إلى المستقبل ، العنف قد يبرر، لكنه أبداً لن يجور على مشروعيته . والحال أن التبرير سيبدو أقل مصداقية ، بمقدار ما تبدو الأهداف المستقبلية المتوخاة ، بعيدة في الزمن . "إن أحداً لا يماري في ضرورة استخدام العنف في حال الدفاع المشروع عن النفس حين لا يكون الخطر بادياً فقط، بل حتمياً كذلك ... هنا تكون "الغاية" التي تبرر "الوسيلة" End Justifies The Means جلية"[٣٠].

فالسلطة والعنف على الرغم من كونهما ظاهرتين متمايزتين ، عادة ما يظهران معا . وحيثما يتم الجمع بينهما ، تتضح السلطة باعتبارها العامل الأساسي والمسيطر، غير أن الوضع يختلف تمامًا حين نتناول السلطة انطلاقاً من حالتها البحتة – كما يحدث ، مثلاً ، بالنسبة إلى غزو خارجي أو احتلال . لقد رأينا كيف أن المماثلة الشائعة بين العنف والسلطة إنما تقوم على فهم الحكومة كسيطرة الإنسان على الإنسان بواسطة العنف[٣١].

ولقد تحدثت "أرندت" عن أولئك الذين يجابهون العنف بالسلطة حيث تقول : "إن الذين يجابهون العنف بالسلطة سرعان ما يجدون أنفسهم في مواجهة ، ليس مع البشر، وإنما مع الآلات التي يصنعها البشر، الآلات التي تتزايد لا إنسانيتها وفعاليتها التدميرية ، مع زيادة المسافة التي تفصل بين المتجابهين . بإمكان العنف أن يدمر السلطة دائماً . ولكن ليس بإمكان العنف أن يصبح سلطة أبداً [٣٢].

ترى الباحثة إنه بإمكان العنف أن يدمر السلطة لكنه بالضرورة عاجز عن خلقها . لكن حين نتحدث عن هذه الإشكالية نجد أنفسنا أما فريقان : فريق يرى أن الديمقراطية والمساواة هي التي تجعل السلطة قائمة ومستمرة . وفريق آخر يرى أن العنف هو المؤسس الحقيقي للسلطة. ولكي نحاول التوفيق بين الفريقين لابد من التسليم بالمقولة الآتية "إن الإفراط في العنف أو التفريط فيه كلاهما تطرف".

وتلاحظ "أرندت" أن مكمن المشكلة في أنه "يُنظر إلى العنف بوصفه تجلياً للسلطة . " كل سياسة إنما هي صراع من أجل السلطة ، والعنف إنما هو أقصى درجات السلطة هذا ما كان رايت – ميلز يقوله ، مستعيداً في هذا صدى تعريف ماكس فيبر[*] للدولة بوصفها "سلطة للناس على الناس قائمة على أساس أدوات العنف المشروع أي العنف منظوراً إليه على أنه مشروع"[٣٣].

وتشير "أرندت" إلى أن المستوى الراهن للعلوم السياسية في الغرب ، لا يسمح لعلم المصطلحات أن يميز بين كلمات أساسية مثل سلطة ، وقوة وتسلط ، وأخيراً "عنف" - وهي جميعاً تحيلنا إلى ظواهر تتمايز وتختلف بعضها عن البعض ، ومن الصعب عليها أن توجد إن لم يكن هذا التمايز قائماً.

---

[٣٠] المصدر السابق ، ص ٤٦.

[٣١] حنة أرندت : "في العنف"، ص٤٧.

[٣٢] المصدر السابق ص٤٧.

(*) ماكس فيبر (١٨٦٤-١٩٢٠) Max Weber :- فيلسوف اجتماعي واقتصادي وسياسي ألماني. أسهم ماكس فيبر بنصيب ملحوظ في فلسفة الاقتصاد ، وفلسفة السياسة ، وفلسفة الحضارة ، وفلسفة الدين ، أي في الفروع العملية من الفلسفة بمعناها الأعم ، لكنه لم يسهم في علوم الفلسفة بمعناها الأخص ، أي : ما بعد الطبيعة ، والمنطق والأخلاق. وقد تأثر فيبر بالماركسية الفلسفية في شبابه ، لكنه ما لبث أن انصرف عنها إلى مذهب نيتشه في إرادة القوة والدعوة إلى السيادة ، وتخلل ذلك بين الحين والحين نزوات ليبرالية. من أهم مؤلفاته "الاخلاق البروتستانتينية والفكر الرأسمالي". (انظر عبد الرحمن بدوي : "موسوعة الفلسفة" ، جـ٢، مادة : فيبر ، ص٢١٦).

[٣٣] المصدر السابق، ص ٣١.

ترى أرندت أن السؤال الأساسي للعنف هو مَنْ يحكُم مَنْ ؟ فالسلطة والقوة والقدرة والتسلط والعنف كلها ليست سوى كلمات تشير إلى الوسائل التي يحكم بها الإنسان الإنسان ، وقد أُعتبرت مترادفات لأن لها الوظيفة نفسها . وبعد أن يكف المرء عن حصر الشئون العامة بقضية السيطرة ، سوف تظهر، أو تعود للظهور السمات الأصلية لمشكلات الإنسان ، فى تنوعها الأصيل(٣٤).

أما عن هذه السمات فقد تناولتها "أرندت" على النحو التالي:

- **السلطة Authority**: تعني قدرة الإنسان ليس فقط على الفعل ، بل على الفعل المتناسق ، السلطة لا تكون أبداً خاصة فردية ، بل إنها تعود إلى مجموعة من البشر، وتظل موجودة طالما ظلت هذه المجموعة مع بعضها البعض . وحين نقول عن شخص ما إنه "في السلطة" فإننا في الحقيقة نشير إلى أنه قد وكله عدد من الناس لكي يتقلد السلطة باسمهم. وفي اللحظة التي تختص فيها الجماعة التي نبعث السلطة عنها (يقول اللاتين potestas in populo أي من دون شعب أو جماعة لا تكون سلطة) ستختفى سلطة المتسلط بدورها وفي الاستخدام الرائج ، حيث نتحدث عن رجل ذى سلطة أو "شخصية متسلطة" فإننا نكون قد استخدمنا كلمة "سلطة" بشكل مجازي ، لأن ما نعنيه ، خارج إطار المجاز انما هو القدرة.(٣٥).
- **أما عن القدرة Ability**: فتشير هذه الكلمة إلى كينونة الفرد ، حيث إنها تعبر عن الفرد الأكثر قدرة ، ويمكن أن تنهزم تلك القدرة دائماً من قبل الكثرة التي قد تتألف في أغلب الأحيان لمجرد أن تدمر صاحب القدرة ، ويكون ذلك بسبب استقلاليته الخاصة . ويبدو أنه من طبيعة الجماعة وسلطتها أن تقف ضد الاستقلال الذي هو خاصية القدرة الفردية(٣٦).
- **وأما عن القوة Power** : هذه الكلمة التي نستخدمها في الاستخدام اليومي كمرادف للعنف ، خاصة إذا أُستخدم العنف كوسيلة للإكراه ، هذه الكلمة في اللغة الإصطلاحية تشير إلى "قوى الطبيعة" أو "قوى الظروف" كما تستخدم لتعريف الطاقة الناتجة عن المحركات الطبيعية أو الاجتماعية(٣٧).
- **وأما عن التسلط Authoritarianism:** هذه الكلمة تعبر عن أكثر الظواهر التباساً ، مما يجعلها ، عُرضة لسوء الاستخدام اللغوي ، ففي حال التسلط يخضع الناس للشخص المتسلط دون أن يضعوا لذلك أية شروط ، ودون إكراه من جانبه أو حتى إقناع . والإبقاء على حالة التسلط يتطلب مهارة من جانب الشخص المتسلط أو المؤسسة التي تقوم بدور القائد. أما العدو اللدود للتسلط فهو الاحتقار، وأما الخطر الأكبر الذي ينسف التسلط فهو السخرية(٣٨).
- **وأما عن العنف Violence:** أما العنف في الناحية الظاهرية فهو يقترب من القدرة بالنظر إلى أن أدوات العنف ، كما هي بالنسبة لسائر الأدوات ، إنما صممت وأُستخدمت بهدف مضاعفة طبيعة القدرة حتى تستطيع أن تحل محلها ، في آخر مراحل تطورها(٣٩).

وبتعبير "أرندت" فإنه "إذا كان الجمع بين العنف والسلطة هو الأمر الشائع . بل والأكثر تطرفاً ، فإن هذا لا يعني أبداً أن التسلط والسلطة والعنف شيء واحد"(٤٠).

ويبدو أن التمييز بين هذين المفهومين من أهم اهتمامات "حنة أرندت" في كتابها "في العنف" حيث رأت أن ثمة علاقة أداتية بين السلطة والعنف ؛ أي أن العنف أداة من أدوات السلطة، والقوة الطبيعية قد تستخدم من قبل السلطة لصد عدوان خارجي ، أو ضد معارضيها ، أو ربما

---

(٣٤) حنة أرندت: "في العنف" ، ص ٣٨.
(٣٥) المصدر السابق ، ص ٣٩.
(٣٦) المصدر السابق ، الصفحة نفسها.
(٣٧) المصدر السابق ، ص ٤٠.
(٣٨) حنة أرندت: "في العنف" ، ص ٤٠.
(٣٩) المصدر السابق ، ص ٤١.
(٤٠) المصدر السابق ، ص ٤٠.

تستخدم من الثوار ضد السلطة نفسها ، ولكن في النهاية وحسب "أرندت" فإن العنف وحده لا يكفى للحفاظ على السلطة ، ولكن المهم هو نوع "الشرعية" التي تقف وراء هذا العنف ، ولذلك تقول "أرندت": "إن عنفاً بدون شرعية لا يمكن له أن يبلغ هدفه السياسي أبداً، ولا يمكن له أن يؤدي إلى نهاية فاعلة لأى أزمة أو ثورة ، وتردف "أرندت" قائلة :"غن العنف السياسي لا يمكنه أن يبنى سلطة أو يؤازرها ولكنه يستطيع فقط أن يدمرها" [٤١].

ترى الباحثة أن مقولة "أرندت" هذه تجعلنا نقف أمام نوعين من العنف . الأول وهو العنف المشروع "الثوري" والذي يهدف إلى التخلص من الشمولية والإستبداد، وهذا لايتم إلا من خلال فعل "الثورة"، لأن الهدف في هذه الحالة يكون تغيير النظام ومحاربة الفساد والتخلف . والنوع الثاني وهو العنف الإجرامي الذي تمارسه الأنظمة الشمولية تجاه شعوبها وتجبرهم على الخضوع بالقوة .

وفي خلاصة ذلك كله تقول "أرندت" إنه : "من الناحية السياسية لا يكفي أن نقول إن السلطة والعنف ليسا الشيء نفسه . فالسلطة والعنف يتعارضان : فحين يحكم أحدهما حكماً مطلقاً يكون الآخر غائباً. والعنف يظهر حين تكون السلطة مهددة ، لكنه إن تُرك على سجيته سينتهي الأمر باختفاء السلطة ، ويترتب على هذا أنه من الخطأ التفكير في اللاعنف بوصفه نقيض العنف ، والحديث عن سلطة خالية من العنف لا معنى له. إن بإمكان العنف أن يدمر السلطة ... لكنه بالضرورة عاجز عن خلقها[٤٢] .

"أرندت" هنا تريد أن تشدد على أن العنف لا يمكنه أبداً أن ينحدر عن نقيضه ، الذي هو السلطة ، وأنه يتعين علينا ، لكي نفهم العنف في حقيقته ، أن نتفحص جذوره وطبيعته[٤٣] .

وأخيراً فالسلطة مغايرة للعنف في المصدر والغاية عند "أرندت"، فالعنف عندها فردي المصدر والغاية، أما السلطة فجماعية المصدر والغاية[٤٤] .

(٣) العنف بين الوسيلة والغاية:

إن دراسة وتحليل الغايات والوسائل والعلاقة بينهما يرتبطان ارتباطاً جوهرياً بدراسة العمل السياسي نفسه . وهناك من يطرح مسألة الغاية والوسيلة من زاوية عملية ، وعلى رأسهم "ميكيافللي" في كتابه "الأمير". حاول "مكيافيللي" أن يكشف من التاريخ القديم ومن الأحداث المعاصرة له ، كيف تُنال الإمارات، وكيف يُحتفظ بها ، وكيف تُفقد وانتهى إلى رأي في السياسة يتلخص في عبارة : "الغاية تبرر الوسيلة" ، ولقد أوضح أن أكثر الحكام لم يكونوا شرعيين ، ولم يكونوا ملتزمين بالمبادئ الأخلاقية الفاضلة ، ومع ذلك استطاعوا أن يصلوا إلى الحكم ، وأن يضمنوا استقرار الحكم في أيديهم، حتى البابوات فقد رأى أنهم قد كانوا في الكثير من الحالات يضمنون الانتخاب لنفسهم بوسائل فاسدة ، لا تتفق مع الفضائل الخلقية. ويقول في ذلك :" إنه من الضروري أن يكون الأمير قادراً على إخفاء هذه الشخصية وأن يكون داعياً كبيراً، والناس يصلون في السذاجة وفي الاستعداد للخضوع للضراوات الحاضرة ، إلى الحد الذي يجعل ذلك الذي يخدع يجد دائماً أولئك الذين يتركون أنفسهم ينخدعون، وسأنوه فقط بمثل حديث واحد، فالإسكندر السادس لم يفعل شيئاً إلا أن يخدع الناس ، ولم يخطر بباله أن يفعل شيئاً آخر، ووجد الفرصة لذلك ، ولم يكن هناك من هو أقدر منه على إعطاء التأكيدات ، وتوثيق الأشياء بأغلظ الأيمان، ولم يكن أحد يرعى ذلك أقل منه، ومع ذلك فقد نجح في خُدعاته، إذ كان يعرف

---

[٤١] سومر الياس، "العنف والسياسة"، الحوار المتمدن، العدد٣٦٦٠، (مارس)، ٢٠١٢.
[٤٢] حنة أرندت : "في العنف" ، ص٥٠.
[٤٣] حنة أرندت : "في العنف" ، ص ٥١.
[٤٤] شعبان عبدالله محمد: "اليتوبيا اليهودية ، قراءة في فلسفة حنا ارندت"، ص ٧٦.

هذه الأمور معرفة طيبة"[٤٥]. واستنتج "ميكيافيللي" من هذا أنه لا يلزم الأمير أن يكون متحلياً بفضائل الأخلاق المتعارف عليها ، ولكن يجب عليه أن يتظاهر بأنه يتصف بها وينبغي له أن يبدو فوق كل شيء متديناً .

ويرفض علم السياسة هذا باعتبار أن الوسيلة يجب أن تتطابق مع الغاية وتخدمها لا العكس، حيث "مهما تنوعت النظريات والاتجاهات في تحليل العلاقة بين الغايات والوسائل ، يبقى أن اختيار وسيلة دون أخرى لتحقيق غاية سياسية معينة يؤثر، شاء الحاكم أم لم يشأ ، تأثيراً جوهرياً في الغاية المنشودة نفسها، ويغير من محتواها نفسه ؛ إذ ليس من الممكن تحقيق مجتمع الحرية والعدالة باستعمال وسائل قمعية وظالمة . وهذا بدوره يؤدى إلى رفض نظرية "الغاية تبرر الوسيلة" لأن اختيار الوسيلة لا يمكن أن ينفصل عن اختيار الغاية لأن الترابط عضوي بينهما[٤٦].

ولا يقف الإشكال في العنف من ناحية تبرير الوسيلة وخطأ هذا المبدأ ، بل يتعدى الإشكال إلى خطورة العنف كوسيلة وسلاح ذي حدين يمكن أن ينقلب على صاحبه ويقضي عليه . إذ إن العنف هو في حد ذاته من الوسائل الخطيرة التي يمكن أن تقضى على الغاية وتحولها إلى هامش في طريق الحركة ، لأنه وكما تقول "أرندت" إن "جوهر فعل العنف نفسه إنما تسيره مقولة الغاية والوسيلة التي كانت ميزتها الرئيسة ، إن طبقت على الشئون الإنسانية ، إن الغاية محاطة بخطر أن تتجاوزها الوسيلة التي تبررها والتي لا يمكن الوصول إليها من دونها . وبما أنه من المستحيل التنبؤ، بشكل فيه مصداقية ، بالغاية المتوخاة من أي عمل بشري ، ككيان مستقل عن وسائل تحقيقه ، فمن الواضح أن الوسائل المستخدمة للوصول إلى غايات سياسية تكتسب في أغلب الأحيان أهمية بالنسبة إلى بناء عالم المستقبل ، تفوق الأهمية التي تكتسبها الغايات المنشودة"[٤٧].

وتتبع خطورة العنف في أنه أصبح الوسيلة الوحيدة التي تسيطر على السلوك الحركي ، ومن ثم يستنفد العنف الغاية ويحتويها ليصبح هو الهدف الأول و الأخير، ولذلك تقول "أرندت" "إن خطر العنف ، حتى لو تحرك بشكل واعٍ ضمن إطار غير متطرف يصل إلى أهداف المدى القصير، سيجعل الوسيلة تغلب الغاية . فإن لم تتحقق الغايات بشكل سريع لن تكون النتيجة فقط إلحاق الهزيمة بالتحرك كله . بل كذلك إدخال ممارسة العنف في صلب الجسم السياسى ككل"[٤٨].

والأخطر من ذلك هو ذلك التحول المأساوي الذي يمكن أن يحققه العنف عندما يعجز كوسيلة أساسية عن الوصول للغاية المنشودة ، حيث تتحول بالتدريج أدوات العنف إلى غايات أساسية للتدمير الذاتي والخارجي ، فتفقد الجماعة كل قدرة على إعادة التوازن الداخلي والحفاظ على التماسك ، وبالتالى تفقد سلطتها الداخلية وشرعيتها الشعبية[*] . ومن هنا تدرك "أرندت" أن

---

[٤٥] مكيافيللي : "الأمير" ، ترجمة : أكرم مؤمن ، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص٥١.

[٤٦] عبدالوهاب الكيالى: ("موسوعة السياسة، المجلد الرابع، مادة : الغايات والوسائل، ص ٣٢٤).

[٤٧] حنة أرندت : "في العنف"، ص ٦.

[٤٨] المصدر السابق، ص٧٣.

(*) ناخذ مثال على ذلك ما حدث في مؤتمر الحزب الديمقراطي في شيكاغو في العام ١٩٦٨ حيث غير ذلك المؤتمر، الذي شوهته النزاعات والاحتجاجات العنيفة، الطريقة التي يختار بها الديمقراطيون مرشحهم للرئاسة. وكان مؤتمر الحزب من ٢٦ -٢٩ أغسطس، ١٩٦٨، الوميض الذي أشعل تصادماً بين الأجيال جابهت فيه قيادة الحزب الديمقراطي الأكبر سناً مثالية راديكالية يؤمن بها المحتجون الذين كانوا ما زالوا يترنحون من جراء اغتيال زعيم حركة الحقوق المدنية مارتن لوثر كنج في إبريل والمترشح للرئاسة روبرت كينيدي في يونيو. وقد حشدت حملة كينيدي المناوئة للحرب والمؤيدة للحقوق المدنية كثيرا من الناخبين الشباب والمنتمين إلى الأقليات.(انظر ستيفن كوفمان، أصداء ذكريات مؤتمر الترشح القومي للحزب الديمقراطي، أغسطس، ٢٠٠٨).

العنف نفسه يقود إلى العجز – فحين لا يعود العنف مدعوماً من قبل السلطة ، نصبح أمام ذلك الانقلاب المعروف ، حين تصبح الوسائل غاية ذاتها. عند ذلك تصبح الغاية محددة من قبل الوسائل – وسائل التدمير. وتكون النتيجة أن هذه الغاية تؤدي إلى تدمير كل سلطة"[٤٩].

وتردف "أرندت" قائلة : "إنه دائماً ما تضطر الحاجة إلى استخدام أدوات العنف ، ولكي تحقق الحكومات ذاتها ، تكون مضطرة للقيام بأعمال ينظر لها كجرائم في سبيل توكيد بقائها وبقاء القانون"[٥٠].

وعندما يصبح العنف الذي كان وسيلة هو المحور الوجودي المحرك للجماعة ، تفقد الأخيرة مقوماتها الذاتية ، وبالتالي تفقد الأسس الشرعية والوجودية التي قامت عليها.

من هذا المنطلق تذهب "أرندت" إلى القول : "إن العنف ليس غاية بل وسيلة لتحقيق ما هو فردي ، ولكن ما يحدث أن الوسيلة تفوق الغاية أهمية ما يؤدي للدمار الشامل" [٥١].

يتضح للباحثة أن "أرندت" تعترض على مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة" ، واتفق معها في ذلك ، حيث إنه مبدأ قائم على مقولة تدعو إلى انتهاز الفرص لتحقيق الغايات بأية وسيلة ، حتى لو كانت هذه الوسيلة تتناقض مع الغاية المنشودة ، فحين تتفوق الغاية على الوسيلة أو العكس ، ننجد أنفسنا أمام ما يسمى "بالدمار الشامل" ، ولكنه يجب أن تتطابق الوسيلة مع الغاية وتخدمها لا العكس ، حتى نصل إلى الأهداف المنشودة.

(٤) آثار العنف:

يبدو أن "أرندت" لا تنسب أعمال العنف إلى جماعات معينة ، وإنما ترجع أعمال العنف إلى عدم وجود مساحة كافية للجمهور لممارسة النشاطات السياسية ، لذا فالعنف كما تراه "أرندت" إنما هو نابع من الشعور بالحيرة والقلق تجاه شيء ما ، وهذا ما نفتقده في مجتمعنا البيروقراطي الحديث حيث نترك حرية التصرف للمواطنين ، وبالتالي بدون الاعتماد على الحرية وإرادة التصرف للمواطنين يصبح الجميع عرضة للتطرف والعنف[٥٢].

وبالرغم من أن العنف السياسي – في معناه العام – ترفضه المعايير وتدينه كل الشرائع ، عندما يكون غير مبرر، حيث إنه غير شرعي ويقوض النظام في المجتمع ، إلا أننا نجد في المقابل من يعتقد أن التغيرات الاجتماعية الراديكالية[*] هي التي تقود إلى استمرارية التحسن في الأوضاع المعيشية المختلفة للمجتمع ، وعلى خلاف ذلك نرى أن العنف السياسى في الغالب هو من الأدوات المهمة – إن لم تكن الأداة الوحيدة – للتحرر من الظلم والطغيان في المجتمعات التي تحتكر السلطة والثروة والسلاح ... ففي ظل الأنظمة التقليدية نجد أن المجتمعات يسيطر عليها فئة حاكمة متسلطة تستخدم الدولة كأداة لخدمة مصالحها دون مشاركة من المجموع" [٥٣].

---

[٤٩] حنة أرندت : "في العنف" ، ص ٤٩.

[50] Hannah Arendt: "Eichman in Jerusalem", “A Report On The Banality Of Evil”, The Viking Press, New York, 1963, P.135.

[٥١] شعبان عبدالله محمد: "اليتوبيا اليهودية قراءة في فلسفة حنا ارندت"، ص ٧٤.

[52] John Mcgowan: "Hannah Arendt An Interoduction", P.54.

(*) الراديكالية Radicalism :- وهي الجذرية نسبة إلى جذور الشيء . والجذريون أو الراديكاليون هم الذين يريدون تغيير النظام الاجتماعي من جذوره . ويطلق تعبير الراديكالية من الناحية السياسية اليوم على المتطرفين نحو اليسار غالباً ، ونحو اليمين أحياناً قليلة . وفي القرن التاسع عشر استخدم اصطلاح "الراديكالية الفلسفية" للدلالة على النظرية السياسية والاقتصادية التي اسسها واعتنقها مجموعة من الكتاب الإنجليز من أهمهم جون ستيوارت مل والتي من أهم مبادئها : الحرية في كل أشكالها وخصوصا الحرية التجارية والفردية والإيمان بالعقل والمنفعية الأخلاقي. (انظر عبد الوهاب الكيالي: "موسوعة السياسة" ، المجلد الثاني ، مادة : رديكالية، ص٧٨٢).

[٥٣] شعبان الطاهر الأسود: "علم الاجتماع السياسي قضايا العنف السياسي والثورة"، ص٣٩.

والواقع أنه عندما يصير العنف شرعياً ، فإنه يغدو حقاً مكتسباً من حقوق الإنسان ، ولن يتوانى هذا الأخير عن التذرع بالعنف ، واللجوء إليه عند كل فرصة تظهر أمامه . وكلما شرعت الأيديولوجيات في العنف ، نجد أن الإنسان يبالغ في استخدامه دون أن يشعر أن العنف يتناقض بصورة جذرية مع الطموحات الإنسانية[٥٤].

ويبدو أن ردود الأفعال التي يولدها العنف عبر التقصي الميداني لآثاره يتيح لنا المزيد من الفهم لآلية العنف ومدى فاعليته في إحداث التغيير الواقعي ، كما أن استقصاء آثار العنف يمكن أن يضفي بعض الواقعية، ومن ثم يعطي القدرة على فهم العنف فهماً تحليلياً موضوعياً، وقراءة أبعاده الفكرية وجذورها.

ترى "أرندت" أن الجماعة التي تستخدم أسلوب العنف تهدف إلى ايجاد تغيير سياسي أو اجتماعي سريع ، والسبب وراء ذلك يرجع إلى التذمر الشديد التي تكنه هذه الجماعة للأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية القائمة ، ويدفعها إلى ذلك إما عدم رضاها عن أسلوب عمل السلطة، أو السعي للانتقام من سلطة مستبدة قائمة على القمع والاضطهاد ، وفي كلتا الحالتين فإن العنف هنا وسيلة لإيجاد تغيير فوري يخدم أهداف الجماعة على المدى القريب، وبعبارة أخرى تقول "أرندت" : "إن العنف ، الذي هو أدواتى في طبيعته ، يبدو واقعياً بالنظر إلى أنه يكون فعالاً في الوصول إلى الغاية التي من شأنها أن تبرره ، وبما أننا حين نمارس فعلاً ما ، لا نعرف بصورة يقينية ما الذي ستكون عليه نتيجة ما نفعل، فإن العنف يمكن أن يبقى عقلانياً فقط في متابعته لأهداف على المدى القصير. إن تكتيكات[*] العنف والشغب تكون ذات جدوى بالنسبة إلى أهداف المدى القريب، بينما يصبح العنف غير ذي جدوى بالنسبة إلى أهداف المدي الطويل أو التغييرات الخاصة بالبنية الأساسية[٥٥].

لذلك لا يستطيع العنف إلا أن يحقق نتائج مؤقتة. فطبيعة العنف وتشكيلته الذاتية تحمل في بذورها الانفعالية والسعي السريع لإنجاز شيء ما قد يتجاوز المدة الزمانية التي يجب اجتيازها بعقلانية عبر مراحل طويلة ، لذلك ترى "أرندت" أن "النتائج التي يسفر عنها عمل البشر(ما يقوم به البشر من أعمال العنف) ، تتبدى دائماً منفلتة من الرقابة حيث يحمل العنف في ذاته عنصراً إضافياً تعسفياً[٥٦].

وقد أثبتت الحركة التاريخية للأمم والحضارات أن الافكار والثقافات تتشكل في إطار زمني طويل بحيث تنمو ضمن عمر حركي وتاريخي طويل لا يقاس بعمر جيل أو جيلين من عمر البشر ، بل هو أبعد من ذلك ، مما يصعب تغييره فوراً ، وإنما التغيير يتم في مراحل طويلة المدى ، ومن هنا فإن الدراسات الاجتماعية أثبتت أن التغيير السريع والعنف لا يزيد من الأزمات والمشاكل إلا سوءاً.

ترى "أرندت" أن الاتجاه المتصاعد للعنف حسب خصائصه الذاتية لا يترك مجالاً يسمح بالدخول لمرحلة السلم وإحلال الهدوء، وكذلك حل المشاكل بالطرق السلمية. لذلك فإن الجماعة التي تستخدم العنف كتكتيك مؤقت في حركة التغيير، لا تستطيع عادةً أن تتخلص من عقدة

---

[٥٤] جان – مارى مولر: "معنى اللاعنف"، ترجمة انطوان الخورى طوق، مركز اللاعنف وحقوق الإنسان، بيروت، ١٩٩٥، ص٢١.

(*) تكتيكات Tactics :- التكتيك السياسي لا يختلف عن التكتيك العسكري من حيث إن كلا منهما يعني أساليب النضال وأشكاله ومناهجه لتحقيق مهام معينة. والتكتيك يهدف إلى تحقيق العمليات الجزئية لوضعها في خدمة الهدف الاستراتيجي العام . إنه يحدد أفضل المناهج والوسائل لتحقيق مهام معينة في ظروف مادية محددة . والخلاصة أن التكتيك هو جزء من أجزاء الاستراتيجية يحقق مرحلة من مراحلها ويخضع لأهدافها ولا يتناقض مع مسارها العام. (انظر عبد الوهاب الكيالي : "موسوعة السياسية" ، المجلد الأول ، مادة : التكتيك ، ص٨٠٢).

[٥٥] حنة أرندت : "في العنف" ، ص ٧٢.

[٥٦] المصدر السابق ، ص٦.

العنف التي تتغلغل في بنيتها ، ومن هنا وكما تقول "أرندت" إن ممارسة العنف ، مثل كل فعل آخر، من شأنها أن تغير العالم ، لكن التغير الأرجح سيكون في إتجاه عالم أكثر عنفاً[٥٧]. حيث أن "خطر العنف يتمثل أولاً: في خطر الاستعمال الواسع للعنف المؤدي في النهاية إلى غلظة قلوب من يستخدمونه إزاء بعض الظروف والحالات التي يمكن حسمها باللطف واللباقة بدلاً من القوة"[٥٨].

ومن هنا فإن استخدام العنف يترك أثراً سلبياً في حركة التغيير لدى حكومة ما ، وهو عدم قدرتها على استبدال السلم بالعنف في الوقت المناسب ، إذ "إن القبول بحتمية العنف يؤدي إلى قبول العنف حتى في الحالات التي يمكن أن تفلح في حلها الوسائل السلمية"[٥٩].

وإذا كان استخدام العنف هو استخداماً قائماً على كونه مجرد تكتيك وأداة للوصول إلى الهدف وليس هو الهدف في حد ذاته ، فإنه يجب حساب المكاسب التي يحصدها العنف، وإذا كانت تفوق الخسائر التي يتسبب فيها ..

ترى "أرندت" أن حساب هذا الأمر لا يتم في ضوء المنافع الشخصية للجماعة أو قادتها ، وأما عن أثر العنف في حركة التغيير و ما خلفه العنف من آثار ؛ فإنه يوحي بوجود خسائر كبيرة نالت تلك الجماعات تفوق بكثير ما يتوهم أنه مكاسب ، من أهمها أنها تخسر وجودها الشرعي واعتبارها العرفي والجماهيري . وتقول "أرندت" في ذلك : "نعم إن بإمكان العنف أن يدمر السلطة دائماً ، فمن فوهة البندقية تنبع أكثر القيادات فاعلية معبرة عن أقصى درجات الطاعة ، و "إن إحلال العنف محل السلطة قد يحقق النصر، ولكن الثمن يكون باهظاً جداً، لأن من يدفع هذا الثمن ليس من لحقه الهزيمة وحده، وليس على حساب سلطته الخاصة وحده [٦٠].

ترى الباحثة أن للعنف خواص تجعله لا يخضع إلى حسابات الربح والخسارة أو النجاح والفشل ، لأنه موقف انفعالي خاضع لظروف تحركها دوافع الانتقام ، وبذلك فإن استخدام العنف يمثل الخسارة ، وذلك لأنه ليس عملاً منظماً.

٥- العنف والرأى العام(*):

يحاول الكثير من أفراد الشعب أن يجعل من العنف وسيلة للوصول إلى إسماع الرأي العام قضيتهم ، ذلك أن العنف يحمل في رسالته طابعاً مثيراً وجالباً للأنظار بعد أن يعتقد مستخدموه أنهم لا يمكنهم التعبير عما يعانوه من ظلم إلا بهذا الأسلوب ، ومن هنا فإن العنف "لا يعزز من شأن القضايا ، ولا من شأن التاريخ ، ولا من شأن الثورات ، ولا من شأن التقدم أو التأخر: لكن بإمكانه أن يفيد فى إضفاء طابعاً انفعالياً على المطالب وإيصالها إلى الرأي العام لافتاً نظره إليها . وكما لاحظ ويليام أوبريان(**)، الفلاح الإيرلندي الثورى الذي عاش في القرن التاسع عشر: "أحيانًا يكون العنف الطريقة الوحيدة التي تؤمن سماع صوت الاعتدال"[٦١].

---

(57) Elisabeth Young – Bruehl: "Why Arendt Matters?", Yale University Press, London, 2006, P.133.

(٥٨) محمد جواد رضا: "ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة"، ص ١٧٢.

(٥٩) المرجع السابق ، ص ١٦٧.

(٦٠) حنة أرندت: "في العنف"، ص ٤٨.

(*) الرأي العام Puplic Opinion :- هو الإعتقاد الجماعي ، أو الإعتقاد الذي يشترك فيه الجمهور . وهو لا يوجب أن يكون أصحابه مدركين بما فيه من خطأ أو ضعف . ويسنى الكلام المطابق للظاهر ، أو الواقع ، أو للآراء الشائعة ، بالدوكسولوجيا Doxologiy وهي كلمة مركبة من دوكسا (Doxa) ومعناها الرأي ، ولوجوس ومعناها العلم . ومنه قولهم الأورثوذكسي ومعناه المستقيم الرأي . وقياس الآراء طريقة السبر الاحصائي لمعرفة اتجاهات الرأي العام .(انظر جميل صليبا : "المعجم الفلسفي" ، الجزء الأول ، مادة : الرأي العام ، ص ٦٠٤).

(**) ويليام سميث أوبريان (١٨٠٣-١٨٦٤) William Smith OBrien: سياسي إيرلندي وأحد رواد الثورة الايرلندية. ينتمى إلى الطبقة الحاكمة البروتستانتية، حمل أوبريان على عاتقه مهمة شاقة تقضى بالتوفيق

ولكن التساؤل الذي يتردد في الاذهان ما الأثر الذي يتركه العنف في الرأى العام؟ هل هو أثر إيجابي أم سلبي ؟ والإجابة هنا تعتمد على معرفة ماهية الرأي العام ، والعناصر التي يتشكل منها . فالرأى العام هو "اتجاه أغلبية الناس في مجتمع ما اتجاهاً موحداً إزاء القضايا التي تؤثر في المجتمع أو تهمه أو تعرض عليه ، ومن شأن الرأي العام إذا ما عبر عن نفسه أن يناصر أو يخذل قضية ما ، أواقتراحاً معيناً ، وكثيراً ما يكون قوة موجهة للسلطات الحاكمة، علماً بأن الرأي العام ليس ظاهرة ثابتة بالضرورة ، وقد يتغير إزاء مسألة من حين إلى حين. ومن أدوات التأثير في الرأي العام وحدة الثقافة والتوجيه والعلاقات العامة والصحف والتلفاز ووسائل الإعلام المختلفة [٦٢]

خاتمة:

تعتبر مشكلة العنف من المشاكل الهامة التي تناولتها النظريات الاجتماعية والسياسية بالتفسير، وقد اختلفت آراء المفكرين حول العنف.

أما فيما يتعلق بالإجابة عن السؤال الذي طُرح في بداية الفصل وهو:-

ما المقصود بالعنف؟ و ما أهم خصائص أيديولوجيا العنف عند أرندت؟ و ما الآثار المترتبة على وجود العنف؟

العنف عند "أرندت" ليس ظاهرة طبيعية ، بل هو من وضع الإنسان. وهو أمر محتم لا مفر منه كما لو كان جزءاً من الأمور الإنسانية اليومية.

كما ترى أن العنف يتعارض جوهرياً مع السياسة بل يقصيها ويغيبها تماماً.

تخلص "أرندت" إلى نتيجة أساسية وهى أن العنف ليس في ماهيته سلطة ، وإنما هو النقيض الجذري للسلطة، ويسمح هذا التمييز الواضح بين العنف والسلطة الذي تؤكده "أرندت" بتعريف السلطة كواقعة إيجابية وخلاقة، أما العنف في نظرها لا يملك أية وظيفة ذات جدوى.

كما تميز "أرندت " بين ثلاث أنماط للعنف : العنف العسكري، القمع الداخلي، والعنف المترتب على التقدم التكنولوجي.

أما عن النتائج المترتبة على وجود العنف في نظر "أرندت؟ فهو خلق جيل سلبي بصورة واضحة فاقد القدرة على الإبداع ، بحيث تصبح الغاية القصوى لديهم أن يظلوا على قيد الحياة.

ترى الباحثة أن "أرندت" – وإن كانت من أهم الفلاسفة الذين تناولوا مفهوم العنف – إلا أنني لا أجد لها أي رأي تجاه العنف الموجه للفلسطنيين من قبل الإسرائليين؛ بل نجدها تقول في حوار صحفي لها : "إن إنجازات اليهود في فلسطين هى مصدر الشرعية ونقطة التقاء محتمل مع العرب". بل وتذهب إلى أكثر من ذلك حيث تقول: "إن للشعب اليهودي حق في فلسطين مماثل لحق كل إنسان في حيازة ثمرة عمله سواء أكان يهودياً أو عربياً". إن آراء "أرندت" الفلسفية

بين جيل الشيوخ المحافظين - وجيل الشباب. الثوريين. ويلخص دوره التاريخي بعمله من أجل الوفاق الوطني بين الكاثوليك والبروتستانت. (انظر عبدالوهاب الكيالى، موسوعة السياسة، المجلد الأول، مادة : أوبريان ،ص٣٧٩).

[٦١] حنة أرندت: "في العنف"، ، ص ٧٢.

[٦٢] عبدالوهاب الكيالي :("موسوعة السياسة"، المجلد الثانى، مادة:الرأي العام، ص٨٠٣).

عن العنف – في رأي – ليست واقعية فمهما بلغت مكانة آرائها عن العنف ، فإنها أيضا لن تمحى حقيقتها كيهودية تسعى للحصول على وطن ، حتى ولو كان على حساب شعب آخر.

The Ideology of Violence for Hannah Arendt

by

Heba El-Sayed Darwish

Prof. Dr.: - Safaa Abdl Salam Jaafar

Professor of modern and contemporary philosophy

Former head of the Philosophy Department

Abstract:

The problem of violence is one of the important problems that social and political theories deal with with interpretation. Thinkers have differed opinions about violence.

As for the answer to the question raised in the research, which is: -

What is meant by violence? What are the most important characteristics of Arendt's ideology of violence? And what are the implications of the presence of violence?

Violence according to "Arendt" is not a natural phenomenon. Rather, it is a human condition. It is inevitable and inevitable as if it were part of daily human affairs.

• As you see, violence fundamentally contradicts politics, but rather excludes and completely absent it.

• "Arendt" concludes to a basic conclusion, which is that violence is not in its essence an authority, but rather is the radical opposite of authority. This clear distinction between violence and power, which Arendt asserts, allows for the definition of power as a positive and creative fact, while violence in her view does not have any meaningful function. .

• "Arendt" also distinguished between three types of violence: military violence, internal repression, and violence resulting from technological progress.

• As for the consequences of the existence of violence, according to Arendt?

The researcher believes that "Arendt" - although she was one of the most important philosophers who dealt with the concept of violence - but I do not find her any opinion on the violence directed at the Palestinians by the Israelis; Rather, we find her saying in a press interview with her: "The achievements of the Jews in Palestine are the source of legitimacy and a potential meeting point with the Arabs." Indeed, it goes to more than that, where it says: "The Jewish people have a right in Palestine similar to the right of every person to possess the fruit of his labor, whether he is a Jew or an Arab." Arendt's philosophical views on violence - in my opinion - are not realistic. No matter how high her views on violence are, they will also not be erased from her truth as a Jew seeking a homeland, even if it is at the expense of another people.

Keywords: Violence ,idology , Arendt